النخبة الجزائرية وسياسة الاضطهاد الاستدماري الفرنسي: قراءة في صور المعاناة ومظاهر الصمود والتحدي " شعراء الثورة التحريرية في ظلمات سجون المحتل أنموذجا".

The Algerian elite and the French colonial oppression policy : A reading in the images of suffering and the manifestations of steadfastness and challenge" The poets of the independence revolution in the darkness of occupation prisons, "as a model.

د بوقاعدة البشير، أستاذ محاضر قسم أ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2. الجزائر.

bougaadabachir@yahoo.com

الملخص:

يعالج هذا المقال بالدراسة والتحليل، جانبا من الاسهام النضالي؛ الذي اضطلع به شعراء الثورة إلى جانب نظرائهم من المناضلين الجزائريين في سبيل القضية الوطنية، بحيث يسلّط الضوء بشكل أخص على الواقع الذي تخبّطت بين أمشاجه هذه الشريحة بين

ظلمات سجون الاحتلال، ونضالها بواسطة القلم والشعر؛ كأحد الأسلحة الفتاكة التي أشهرتها في وجه المحتل، لكشف حقيقته وغاياته، بالإضافة إلى ملامسة الدور البطولي الذي تحلّى به هؤلاء الشعراء الثوار في شدّ عضد اللحمة النضالية، وتطعيم قوة الثورة، والزيادة في مفعولها، ناهيك عن الافصاح عن نماذج من تضحيات أولئك الشعراء وتشخيص أدوارهم وبطولاتهم.

الكلمات المفتاحية: السجون، الاضطهاد، الشعراء، المعاناة، الصمود، التحدي.

Abstract:

This article aims at studying and analyzing an aspect of the struggle contribution of the revolution poets alongside with thier counterparts from the Algerian militant, for the national case, as it highlights the reality being lived by that segment of people within the darkness of occupation prisons and its struggle by the pen and poetry as one of the most destructive weapons that it drew in the face of the colonizer, in order to reveal its reality and targets. And also to commend the

heroic role played by those poets in increasing the struggle cohesion.

Keywords : prisons, oppression, poets, suffering, steadfastness, challenge.

1.مقدمة :

لم يدّخر المستدمر الفرنسي أي جهد لقطع اللسان الجزائري الذي يصيح بالحرية، وخنق كل طموح ينشده في بلوغها، وتعطيل أيّ صنيع يقدم عليه لاقتلاع حريته بالقوة. ذلك أنه كان يدرك دون مواربة، أن حياته في أرض الجزائر، رهينة بدفن كل لون من ألوان المقاومة والتصدي ودحض أي جهد مقاوماتي يُبديه ضدّه. وتضاعف جهد المحتل أكثر، حين اصطدم بثورة تختلف عن صنوف المقاومة التي اضطلع بها الجزائريون ضد جبروته من قَبْل، من حيث التنظيم والشمولية؛ وهي ثورة الفاتح من نوفمبر 1954؛ إذ رفع بشكل رهيب من مستوى الوحشية المنتهجة ضد الجزائري، وراح يتفنّن بكل ما جادت به قرائح القادة الفرنسيين وجلّاديهم لسحق الثورة النوفمبرية، وإخماد لهيبها المنتشر في شتى أرجاء الوطن الجزائري بكل ما أوتي من قوة وامكانات ودعم .

وكان السجن والاعتقال وصنوف التعذيب والبطش، من ضمن قائمة الأساليب القمعية-الوحشية التي راهن الفرنسيون على مفعولها، في مسعاهم لإبطال مفعول الثورة وسحق جنودها واخماد لهيب نيرانها المتعاظم، وكان من زمرة العناصر الثورية التي شدّد

الخناق عليها -إلى جانب الساسة والقادة وغيرهم من المناضلين- هم فئة النخبة الجزائرية المُقَاوِمة لجبروته والرافضة لطغيانه والساعية لكسر شوكته، ومن زمرتها شريحة الشعراء، في مسعى من القيادة الفرنسية لحبس أنفاس كل من يصنع ملاحم بطولية من الجزائريين بواسطة القلم والشعر إلى جانب السلاح.

وهي الشريحة التي أخضعناها للمدارسة في هذه الورقة البحثية، لنقف على مستويات الصمود ومظاهر التحدي التي كشفت عنها هذه الشريحة من النخب الجزائرية في سبيل تحرير الجزائر، بالإضافة إلى الوقوف على ما أنتجه القلم الشعري لنماذج من فحول الشعراء لمادة تروي ظمأ روح التضحية في سبيل استقلال الجزائر في نفس الجزائري، وتعين على الرفع من مستويات الصمود والمجابهة في قلبه لجبروت سياسة المحتل الوحشية ومشاريعه القمعية-التعسفية.

ذلك أنّ شعراء الثورة النوفمبرية المجيدة، كانوا يطعّمون بسالة الثوار بشحنات قوية تزيد من حماستهم، وترفع من مستويات صبرهم ومفعول صمودهم، كما كانت جهودهم العقلية والفكرية تُغذِّي طاقتهم النضالية بروح التضحية، وتعينهم على بذل النفس والنفيس في سبيل القضية الوطنية التحريرية(1).

إنّ بشاعة السياسة الاستدمارية المنتهجة في حق المعتقلين الجزائريين في سجون المحتل ومعتقلاته —ومن زمرتهم الشعراء-، لم تكن -في حقيقة الأمر- كابحا يعطّل فكرهم، ويقطع لسانهم عن انشاد أشعار ونظم قصائد، وهم بين جدران غياهب

السجون وظلماتها، وإنّما كانوا يجهرون بألوان من القصائد الشعرية لكشف حقيقة المستدمر وجبروت سياسته، ويصنعون صورا حية عن البسالة والصمود والتحدي أمام ألوان سياسته القمعية وصنوفه التعذيبية، وينطقون بالحقيقة التي يرفضها المحتل؛ والتي هي الرغبة الجامحة في بلوغ الاستقلال واسترجاع الحرية وطرد المحتل.

نعم لم يزهد الشاعر الجزائري في قول الشعر والبوح بواقعه المتأزم داخل السجن وواقع مجتمعه تحت جبروت السياسة الاستدمارية، فكان يعزف ألحانا تعبّر عما خالجهم من شعور بقوة ايمانهم بقضية وطنهم، ومتانة نسيج الانتماء للوطن الجزائري، وشعور بروح المسؤولية الجماعية تجاه الوطن، وتعبيرا عن الرفض القاطع للحياة تحت سقف الاحتلال.

لقد كان من الطبيعي ضمن مساحة الطبيعة البشرية والغريزة الانسانية، أنّ شعراء الثورة التحريرية، كانوا ينطقون بلغة شعرية فصيحة وحيّة، تكشف واقع المعاناة تحت سقف الغربة والابتعاد عن الأهل والأحباب بين جدران السجون وقضبان المعتقلات؛ فقد ترجم نصيب من أشعارهم، صورا من حجم تلك النار المشتعلة في أكبادهم من لهيب فرقة الأهل والأحبة، وحجم الاكتواء بنار التعذيب على يد جنود الاحتلال.

إنّ إدراك الشاعر الجزائري –على غرار نظرائه من قادة الثورة وجنودها وداعميها–، ويقينه على ضوء رؤية متبصّرة للحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية المظلمة التي يرزح تحت سقفها هو وعناصر مجتمعه؛ بأنّ ذلك الواقع لا يوافق طموح أيّ جزائري ولا نسيج أحلامه، كان دافعا قويا لقذف روح الصبر في جسمه، ومدّه بسيل لا ينقطع

من الشحنات الداعمة، للملمة الشمل، وتكثيف الجهد لدعم العمل الكفاحي والنضال التحرري بالقلم أو الفكر، والسلاح، والنفس.

2. سجون المحتل... حلقة من حلقات سلسلة القمع الاستدماري لتفكيك الثورة النوفمبرية :

إنّ استفاقة قادة الاحتلال من غفوة أنّ ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 ليست ثورة عصاة وشرذمة من الخارجين عن القانون، وتأكّدهم بأنّها بركان ثوري داهم ونشاط حربي منظّم وجهد عسكري مدروس، قد أربكهم، وقذف في قلوبهم الرعب، وأشعرهم أنّ ذلك البركان الثائر سرعان ما سيحصد قواتهم إن لم يضاعفوا من اجراءاتهم القمعية، وجهودهم الردعية، وأساليبهم التعسفية، وامكاناتهم الاحترازية. و كيف لا، وهي أضحت تلامس بأمّ عينها، أنّ الجزائري ما كان يرضى ولن يرضى -تحت أيّ لغة ينطق بها جبروت التعذيب وسلاح الترهيب وسياسة التغريب التي تنتهجها- بأن يعيش تحت سقف الاحتلال مسلوب الحرية، وأنّه ما انفكّ يُقدِّم أغلى ما يملك؛ وهي نفسه أو روحه فداءً لوطنه، وصدق الشاعر حين قال:

فيا جزائرنا الحمراء أنت لها   أرضي العلى واصبري سيف العدو بنا

تلوح لي منك هذا اليوم بارقة   توحي إلي بأنّ النصر قد قربـــا

وكل حرية لا تشترى بــدم   لم يرج طالبها في ليلها الاربـــا[2].

كما لم يخف على قادة الاحتلال وجلّاديه، أنّ ملامسة الغرض والدنو من حدود تحقيقه، ينبغي أن يُبنى على عرش سياسة مدروسة تأخذ بعين الاعتبار، مقومات قوة الثورة الجزائرية، ومميزاتها، ومن يُغذّي مجرياتها ويستبسل في ذلك، ومن له كبير التأثير وعظيم القوة في دعمها والسهر على ديمومة الحياة في جسمها، فقد خَبِرت كثيرا ولامست بشكل مباشر مستويات عالية من الصبر، والتحدي، والاستماتة التي يتحلى بها المناضل والمُقاوِم والثائر الجزائري في سبيل قضيته.

ولعلّ من بين ما يصدق على ذلك، ما هتف به شاعر الثورة الجزائرية "مفدي زكريا"، حين صرخ في وجه المحتل من بين ضلوع سجونه المظلمة، مشيدا بظلمةٍ فيه فداء للجزائر وثمنا لحريتها وعربونا لاستقلالها، قائلا بين جدران السجن:

يا مصنع المجد و رمز الفدا　　　يا مهبط الوحي لشــعر البقا
يا معقل الأبطال و الشهدا　　　يا من بمنتدى الأحرار والملتقى
أصبحت يا سجن لنا معبدا　　　عليك نتلو العهد والموثــقا[3].

لذلك، فقد راهن قادة الاحتلال على سبيل العزل، وسلوك التحطيم النفسي، و الفزع المعنوي لفتح عُقد النسيج الذي يربط شبكة القوة واللحمة التي تصطبغ بها قوة ثوار الجزائر؛ لما لهذا النمط الحربي من فعالية في قتل روح الارادة لذى المناضل والمحارب، وقدرته على زعزعة ايمانه بقضية وطنه وإضعاف صلته الروحية به، والذي عجزت عن فك عُقده سُبل القمع والعنف والارهاب[4].

تأسيسا على ما سبق بسطه، نشير بأنّ الادارة الفرنسية، كانت تحوز من المقومات المادية –نظريا طبعا– التي تعينها على الاقتراب من ملامسة الغاية المسطورة لو لا قوة الإرادة الجزائرية ومادة الصمود والتضحية التي تحلّى بها الجزائري في سبيل وطنه؛ وذلك طبعا بناء على حجم الفارق في الامكانات الحربية الشاسع بين قوات المحتل وامكانات الثورة التحريرية الجزائرية؛ فقد أعدّت ترسانة من السجون والمعتقلات، تمّ انشاؤها لهذا الغرض التعسفي؛ بحيث كانت تحوز هذه السجون من المواصفات التقنية ما يؤهلها لأن يرزح من يُزجُّ بين جدرانها في أحشاء ظلمة عاتمة، ويذوق بين ضلوعها حياة ضنكا، وتسومه ألوان من الضيق والأذى، ووبالا من ضروب العذاب والمشقة والمعاناة، ومن تلك المواصفات التقنية ما يأتي ذكره:

– إقامة جدران السجون من الحجارة الكبيرة أو بالإسمنت المسلح(5)؛ وذلك حتى تكون متينة، وعاتية عن الاختراق، ومنيعة أمام أي محاولة للفرار والنجاة من ظلماتها(6).

– جعل نوافد صغيرة الحجم على مساحة الجدار، مع تدعيم فضاءاتها بقضبان حديدية غليظة لا تسمح إلا بدخول الهواء. كما أنّ أبوابها مصنوعة من صفائح حديدية متينة، ومدعّمة بأقفال محكمة، كفيلة بأن تذيق من يُسجن وراءها معيشة ضنكا، ومنها: سجن "بربروس" بالقصبة، وسجن الحراش بالجزائر، وسجن "لامبيز" بتازولت بباتنة، وسجن "الكدية" بقسنطينة، ونحو ذلك من سجون أقامها المحتل(7).

–كانوا يبنون سجونا تحت الأرض في شكل زنزانات أو مقابر لدفن الجزائريين أحياء حتى يذيقونهم أشدّ ألوان التعذيب، وأقسى مظاهر التنكيل وصنوف التقتيل، ناهيك عن أعمال السخرية والشاقة(8).

– مصلحة الحراسة والمراقبة، بالإضافة إلى هيئة التفتيش والمراقبة والتي تشرف بدورها على إدارة السجون الفرنسية المترامية عبر التراب الجزائري، بحيث تسعى لفرض الرقابة الدائمة والحراسة المشددة على السجين الجزائري المحشور في قبور تلك السجون يذوق ألوانا شتى من التعذيب والبطش(9).

3. شعراء شهود على مرارة سجن المحتل: محطات كاشفة لجرائم الجاني وصمود المجني عليه:

إنّ ملامسة عمل بحثي إحصائي لشريحة واسعة من شعراء الثورة التحريرية الكبرى الذين ذاقوا بشاعة سجن المحتل وتجرّعوا مرارة تعسّف القائمين عليه، وبسط صور ناصعة شافية عن جهدهم النضالي–الكفاحي ضمن المساحة الزمنية المؤطرة لمسيرة الكفاح التحرري، ليس في المتناول في حجم دراسة من قبيل التي بين أيدينا —على اعتبار عامل الزمن، وحجم المادة الخبرية وكثافتها، وضخامة النماذج والعينات–، بيد أنّ ذلك لا يمنعنا من بسط نماذج ولو محدودة، من شأنها أن تكشف لنا بصيصا من الصور الحية عن واقع حياة السجين، وما كابده بين ضلوع قضبان السجون وظلماتها، مع العلم أنّ ما

كابده الشاعر لا يختلف عمّا يكابده كل مناضل جزائري في سبيل الجزائر، ومن أولئك الشعراء نذكر:

3. 1. الشاعر مفدي زكريا (1908– 1977) نموذج للشهادة الحية:

يُصنّف هذا الشاعر في طليعة الشعراء الذين تجرّعوا مرارة سجن المحتل أكثر من مرة بين الفترة الممتدة بين 1937 و 1959، فكان بذلك نموذجا لشاهد حيّ على الوضعية التي كان الشعراء وغيرهم من المناضلين المعتقلين يتخبّطون بين دروبها في السجون ويعانون تحت سقف أمشاجها: من ضروب التقتيل، وصنوف التعذيب(10)، ومظاهر التنكيل. ويضع بين أيدينا الباحث "مصطفى بيطام" نصا وصفيا لصاحبه شاعر الثورة "مفدي زكريا"(11)، عنونه بـ "كيف نتحدى الموت أمام المقصلة"؛ والذي يرسم من خلاله هذا الشاعر جانبا من صور للأحاسيس الثائرة التي تنطق بحال الشعراء المسجونين وهم يقفون على حال مواكب المناضلين الصاعدة إلى المقصلة تروم الشهادة في عزة وأنفة وتهتف بصيحات مدوية "تحيا الجزائر حرة مستقلة"، وكذا ما تعلّق بصور المعاملة القاسية التي يُعامل بها السجين الجزائري.

وحتى تتجلّى لنا الصورة في أبهى حللها، نترك المجال لصاحبها لينطق بها كما جاء على لسانه قائلا: "هناك بين حنايا سجن بربروس المظلمة وتحت أقبيتها المتآكلة المتداعية يجثم ثلاثة آلاف أو يزيدون من خيرة شباب الجزائر بين دفين في أعماق الزنزانات السرية رهن التحقيق وبين منتظر إحالته على المحكمة للبث في قضيته التي تم

التحقيق فيها منذ ما يزيد عن سنتين وحضرة القاضي في شغل برحلات الشتاء والصيف عن اتمام الملفات المكدسة فوق مكتبه. وما يستعجله والعصافير في أقفاص من حديد؟ وبين محكوم عليه بأحكام أقصاها إعدام وأدناه ثلاث سنوات... تحت هذا الهيكل العابس "بربروس" الذي يئن تحت أغلال السنين، ويتندى من برحاء المعذبين وأنات الموكورين، توجد سراديب عليها غبرة، ترهقها قترة نحتوا كذا منها زنزانات أشبه شيء بالجحور أعدوها لإنزال ضيوف الموت المجحلين بالخلاخل في السوق والمصفدين بالسلاسل في الأعناق، أولئك الذين يسمونهم المحكوم عليهم بالإعدام ونسميهم الشهداء الكرام"(12).

وإذا كان مسعى قادة الاحتلال من هذا السلوك التعذيبي–التعسفي، هو القضاء على كل نفس يهتف بالثقة في المصير الايجابي للفعل الثوري التحرري، وتهديم كل صرح يبنى على عرش عقل السجين مُزيّن بإرادة فولاذية في المضي قدما إلى جنب المناضلين وخدمة القضية الوطنية ونصرة شعاراتها التحررية، فإنّ تلك الجهود كانت تجابه بصبر وعزيمة من طرف السجناء، حتى أنّ صبرهم ذاك، كان حربا نفسية مضادة لكسر سلاح الحرب النفسية والضغط المعنوي الذي تنتهجه قوات الاحتلال لبلوغ المآرب الاستدمارية–التعسفية، فكان السجناء يبلون بلاء حسنا في الصبر من خلال الحفاظ على أسرار الثورة وعدم الإدلاء بأي تصريح أو تلميح ضد إخوانهم المناضلين.

وحتى نُقوّي ما نبسطه من مادة خبرية، ونشدّ عضد طارحتنا هذه بأدلة تاريخية، يحسن بنا أن نستعين بالنص الذي نطق به شاعر الثورة "مفدي زكريا" الذي عاين الأحداث عن كثب وعايشها وتجرّع مرارتها، وذلك حين يروي مشاهد حقيقية لامسها بيده وحدّق فيها بأم عينه؛ تلك المتعلقة بمشاهد صفوف السجناء التي تسير نحو المقصلة أو إلى المحكمة الظالمة، ذاهبة وعائدة ترقب مصيرها على أيدي الجزارين الفرنسيس(13)، إذ يطلعنا على مشاهد بطولية يرسمها أولئك الأبطال السجناء الذين كانوا يستقبلون اخوانهم حين يعودون من مجالس المحاكمة بالأناشيد والزغاريد أو تلك النماذج الخالدة من حالة السجين البطولية وهو يُقاد إلى المقصلة.

وحتى نقترب أكثر من عمق الحدث، ونطلّ بشكل مباشر على عظيم صور البطولة والتحدي والصبر التي كان السجين الجزائري المناضل يرسمها، مُخلِّدا فعلا بطوليا عظيما في ذاكرة أصحابه ومخيالهم وذاكرة كل جزائري ينبض دم الجزائر في عروقه، نورد ما ساقه الشاعر "مفدي زكريا" في رسالة وردت إليه من عند صديقه في سجن "بربروس"، فحواها كما جاء على لسانه: " وإن أنسى، فلا أنسى –ما دمت حيا– تلك الكلمة الخالدة التي كتبها إلي أخي مصطفى أحد رفيقي بالزنزانة رقم "57" غداة رجوعه من المحكمة نزيلا في سراديب الموت، وقد كنت أنتظر عودته للزنزانة ليتناول معنا طعام العشاء كالعادة: "أخي العزيز ورفيقي في الجهاد سلامي عليك وعلى الأخ خالد. أعرف أنكما تألمتما لعدم رجوعي إلى الوكر الذي ألفناه والذي اعتدنا أن نتسامر فيه إلى ساعة متأخرة

من الليل يفضي كل منا للآخر بذات نفسه ويبثه أشجانه فيجد عنده العزاء والسلوى، وكم كنا نستعرض معا تاريخ أبطالنا وشهدائنا الأبرار ونفسح لآمالنا أفاقا غير محدودة، وكنا نقول دائما إن التضحية في سبيل الجزائر لا أحد لها، وأن استقلال الجزائر لا يُقدّر بثمن. نعم لقد حكموا علي بالإعدام. وأقسم لكما بشرف الجزائر أني لم أشعر يوما في حياتي بالطمأنينة والراحة والسكينة التي شعرت بها(14)، وأودع في روحا قدسية أصبحت أرى بها الدنيا ابتسامة خالدة، والإخوان كلهم على حالة واحدة، فلو أطلعتما علينا لرأيتمانا نتعانق بالمحكمة ونصرخ بلسان واحد في وجه الطغاة الجبناء: نرحب بالموت في سبيل استقلال الجزائر، أنكم مهما تقتلون وتعدمون فإن فكرة الاستقلال لن تموت ما دام بالجزائر كبد حرى. بلغ سلامي لجميع الإخوان وتدرعوا بالصبر"(15)

والحق، إنها لمشاهد بطولية نادرة؛ تلك التي تنطق بإحساس الفرد بأحلى اللحظات في حياته ،وأطيبها وأجمل فتراتها وقد حُكِم عليه بالإعدام وأنّ الموت منه قاب قوسين أو أدنى، لا لشيء سوى لأنه يعلم أنّه في الطريق إلى الشهادة؛ الشهادة في سبيل الوطن، وأنّه ما دام في سبيل استقلال الجزائر وحرية شعبها، فإنّ روحه فداء لذلك تهون وتصبح له سلطة له عليها وإنّما هي في يد السلطان الذي هو الجزائر يصرفها في سبيل حريتها وكرامتها، بل وأقلّ ما يمكن أن يفدي المُضحي أو المحكوم عليه بالإعدام من طرف القضاء العسكري الاحتلالي به الجزائر هي نفسه التي هي أعزّ ما يملك؛ فالجزائر

فوق كل اعتبار وحتى وإن كان أعز ما يملك الانسان وأكثر ما يتشبث به بنو البشر ألا وهو روحه أو نفسه .

وإن كان لا يختلف اثنان ولا يتنازعان، في أنّ ذلك الشعور بالمسؤولية تجاه الوطن الذي تحلَّى به من قدّم نفسه في سبيل وطنه، لا يعدّ سلوكا غريبا عن كل جزائري مناضل في سبيل قضية بلاده ضد المحتل الفرنسي، كما أنّه لم يشكّل مطلقا عند الأغلبية الساحقة من الجزائريين الذين آمنوا بقضية وطنهم وآزروها، أزمة عايشوها، وإنّما لذة ظفروا بها، وذلك بحكم الديانة الاسلامية التي يدينونها وعقيدتها التي ينتحلونها؛ والتي حدّدت معالم التضحية في سبيل القضايا العادلة والكرامة الانسانية ومناهضة استعباد العباد للعباد، وكشفت عظيم الأجر والثواب الذي يحصدونه في سبيل ذلك. لذلك كانت المشاهد التي تفصح عن صمود الجزائري في وجه جبروت الاحتلال وسياسته البطشية-القمعية، وتمسّكه بهويته ومقومات شخصيته الوطنية، تتناسل في مساره النضالي التحرري، كما شهدت بذلك الروايات التاريخية واحتفظت به الذاكرة الجزائرية، وهو ما تترجمه كذلك سلوكات السجين قبيل أن يُنفّذ فيه حكم الإعدام، من خلال حرصه على طهارة بدنه وعنايته بواجباته الدينية كالصلاة والدعاء.

إنّ من أعظم السلوكات البطولية اللافتة للنظر؛ تلك التي يتحلّى بها سجين القضية الوطنية في زنزانات المحتل قبيل لحظات من إعدامه، إلى صفّ ما ذكرنا سالفا: أن يتقدّم المحكوم عليه بالإعدام إلى المقصلة في عزة نفس، وأنفة عالية، وشموخ كبير، وإباء

هائل، في مشهد يُنبأ عن استهزاء بالخصوم والاستهانة بالمصير الذي كتبه العدو، متحدّيا كل طرائق المحتل التعسفية، ومستخفّا به وضاربا بكل إجراءاته الإرهابية عرض الحائط، صارخا في عزة نفس: كل شيء يهون في سبيل الجزائر.

ولا بأس أن نستشهد بما ساقه الشاعر "مفدي زكريا" عن أحد المشاهد الناطقة بصنيع ما ذكرنا، حين يجود علينا بصورة بهية، تحكي حال أحد المجاهدين أمام المقصلة، وقد حكم عليه بالإعدام، فيقول: "وهناك أمام المقصلة وفي حفل من الجلادين يسأله القاضي: ألك طلبة تريدها؟ فيجيبه بسخرية وازدراء: ليس من عادتنا أن نطلب، بل من عادتنا أن ننتزع وسننتزع منكم استقلالنا، إن عاجلا أو آجلا. ألا تخاف من المقصلة؟ ما أنا بالذي أخاف من مقصلة أعدت منبرا لأمثالي، بل إنّ المقصلة سترتعد فرائصها من بعد قليل. فيسأله (فضيلة الامام)، هل لك وصية توصي بها؟ -لقد كنت إماما تصلي بالناس- فيجيب وصيتي لك ولأمثالك أن أكون اليوم إماما لتصلي ورائي، ثم يصعد المقصلة شامخا أنفه، رافعا رأسه صارخا في أذن الدنيا: الله أكبر، تحيا الجزائر:

صرخة ترجف العوالم منـــها ونداء مضى يهز الوجـــودا:
أعدموني فلست أخشى حبـــالا واصلبوني فلست أخشى حديدا
وامتثل سافرا محياك جـــلادي ولا تلتثم فلست حـــــقودا"
واقض يا موت فيّ ما أنت قاض أنا راضٍ، إن عاش شعبي سعيدا
أنا إن مت فالجزائر تحيـــا حرة مستقـــــلة لن تبيدا [16].

أمّا عن حال الشاعر "مفدي زكريا"، فبعدما وصف لنا حال اخوانه المناضلين الشجعان، وهم يتحدون لمواجهة أساليب المستدمر القمعية ويتحدّونها بصمود وبسالة، نراه أيضا، يصرّح بمدى تمسّكه بقضية وطنه، ودعوته إلى الصبر، واستحسان كل ما يُتجرّع على يد جنود المحتل من مرارة التعذيب وأساليب المكر والترويع وهوان ذلك لأجل الجزائر وفي سبيلها، فيقول:

يا سجن ما أنت؟ لا أخشاك تعرفني		من يحذق البحر لا يحذق الغرق

إني بلوتك في ضيق وفي سعـــة		وذقت كأسك لا حقد ولا حنــق

أنام ملء عيوني غبطـــة و رضى		على صياصيـك لا هم و لا قلق[17].

من الروائع التي أوحى بها السجن "لمفدي زكريا" –كما راق "للعربي الزبيري" التعبير عنها[18]– ذلك النشيد الذي نسوق جانبا منه :

اعصفي يا رياح		واقصفي يا رعود

واثخني يا جراح		واحدقي يا قيـود

نحن قوم أبـــاة		ليس فينا جبـــان

قد سئمنا الحياة		في الشقا والهوان

ادخلونا السجون		جرعونا المنـون

ليس فينا خـؤون		ينثني أو يهــون

أجلدوا ، عذبــوا

واشنقوا، واصلبوا

واحرقوا، واضربوا

نحن لا نــرهب

كما أنّه وفي ظلّ المساعي الحثيثة التي يبذلها المحتل لسلب مقومات الجزائري الروحية والثقافية، وتغريبه عن وطنه، وذاته، ومجتمعه، أو سلخه عن روحه، ولغته، وأصالته، وثقافته، لم يتخلّف الشاعر الجزائري إلى جانب نظرائه من مناضلي الفكر والقلم عن ركب دعوة الجزائري إلى ضرورة التمسك بالهوية، والمحافظة على الشخصية الجزائرية، من قبيل: الصيحة التنبيهية التي أطلقها الشاعر "مفدي زكريا"[19]، والتي من مقتطفاتها ما يأتي ذكره:

أمانا من الخطر الداهــم　　　　ومن معول قاصف هادم

غزا المذهبيُّون عقل الشباب　　　　وبمستورد آفن آثــم[20].

وحتى نضع الأصبع على بيت الداء، ونجلِّي الصورة بشكل أدقّ، نورد أبيات الشاعر "مفدي زكريا" التي يتغنى فيها بلغة وطنه، ورمز هويته، والحرص على أن تظل مناعة الجزائري قوية حساسة ضدّ أي فيروس فرنسي قاتل، ودعوته الصريحة لمجابهة التغريب و مظاهر الاذلال الذي تصارع فرنسا لأجله، فيقول:

ذُلّ شعب لم يتّخذ لغة الأجداد　　حصنا و رام عنها انفصال

وعقوق البنين أعظم خطب　　　يرهب الشعب ذلة ونكـالا[21].

ولا شكّ أنّ التصدي لسياسة المحتل، يقتضي أن تجتمع قلوب الجزائريين على قلب واحد وكلمة واحدة وعقل واحد، حتى تعجز قوات الاحتلال عن اختراق نسيج مناعته، وحصون ثقافته، وجدران هويته. لذلك، ضمّ الشاعر "مفدي زكريا" صوته لأصوات نظرائه من المناضلين، داعيا لضرورة تكاثف الجهود لزعزعة تماسك قوات المحتل، وإبطال مشاريعه، وصدّ كل محاولاته الاستدمارية، ومنها سياسته: "فرق تسد"، ومن بين ما جهر به في ذات المضمار ما نطق به قائلا:

ورمى الشامتون فيها، بنيها   بالتعادي، والحقد، لؤما وغدرا
فغدا مسلم، يقاطع فيــها   مسلمـا، والدخيل يختال فخرا[22].

ثمّ إنّ من أعظم صور البطولة والشجاعة والإقدام على الموت في سبيل الوطن، ما يجسّده سلوك أولئك السجناء الأبطال الذين يتسابقون لنيل الشهادة، فيزدحمون ويتنافسون من يحظى بها أولا وقبل غيره، حتى أنّه ونظرا لذلك التنافس والازدحام فيما بينهم، كانت الادارة الاستدمارية تتدخل لفض النزاع بينهم حول من يموت أولا قبل نظرائه، وذلك بالرجوع إلى السجلات التي دُوّنت فيها أحكام الإعدام، فيُعدم كل حسب رتبته، فيقول "مفدي زكريا: "وهل بلغك خبر الثلاثة الذين يتزاحمون عن الموت فيدعي كل واحد منهم أنه صاحب الرقم المطلوب حتى تضطر إدارة السجن لمراجعة دفاترها والتحقيق من شخصية المطلوب"[23].

ولا ينتابنا شكّ قيد أنملة آنئذ، أنّ هذا السلوك السامي من الجزائري؛ وهو يتزاحم ليظفر بالموت ويتسابق ليفوز به: هو قنبلة مقيتة يفجّرها في جسم ثقة الفرنسيس بأنّهم بإمكانهم أن يُسكتوا صوت الثورة، ويقطعوا ألسنة الجزائريين الناطقين بها، ويسلخوا ثقة المناضل الجزائري في قضيته الوطنية ومشروعه التحرري، ومن يشرف عليه من قادة الثورة.

كما أنّ ممّا يصدق على ذلك ما أورده الشاعر "أحمد سحنون"[24] في قوله:

لا تهب إن رمت تحرير الحمى　　ما تراه من عتاد وعديـــد

لا تخف فالخوف موت عاجـل　　والردى جسر إلى العيش الرغيد

أيخاف المؤمن المـوت وقد　　كتب الله له أجر شهيـــد؟

نجـــم أعدائك أمسى آفلا　　وأرى نجمك أضحى في صعود[25].

يجمع أهل التأريخ للثورة التحريرية، بأنّ أشهر قصيدة نُظمت بين جدران سجون المحتل ابان الثورة المظفرة، والتي تنطق بلغة فصيحة وصادقة عن أشكال الثبات والتحدي والصمود؛ تلك التي تروي مشهد صعود أول شهيد جزائري صعد إلى مشنقة المحتل، وهو أحمد زبانة" في سجن بربروس (سركاجي)[26]، وتعرف القصيدة بقصيدة "الذبيح الصاعد"[27]، نطق بها "مفدي زكريا" في ثوب شعري بهي، وبِلُغة شعرية راقية، ومعبرة تخترق عواطف من كان له قلب من حديد، وتجلّي معاني عظمة التحدي، وبسالة المرء وهو يفدي وطنه بروحه، ويهدي الجزائر أغلى ما يملك، أو نقول: أعزّ ما لا يُعطى لو طُلِب[28].

2.3. الشاعر أحمد سحنون: صورة ناصعة لواقع السجين التأزمي وتجليات معاناته:

لقد كان شعر السجون –حقيقةً– مرآةً ناصعة، تكشف صور الجريمة الاستدمارية في حق السجين الجزائري، وألوان الإساءة والعنف الجسدي والمعنوي الذي مارسه الجلاد الفرنسي على ضحايا سجون المحتل. كما شكّل مادة حية، ترجمت –بِلُغة بليغة– ما كان يختلج نفس السجين وصدره من مظاهر القلق على الأهل وبشكل أكبر قلقه على مصير الثورة ومشروع الاستقلال. وإلى جانب هذا، كان ذلك الشعر أيضا، تعبير صادق وجلّي عن حجم التحدي الكبير الذي تحلّى به السجين الجزائري نُصرةً لقضيته، وعن مستويات الأمل والرجاء العالية التي عقدها في نفسه ونسجها في إرادته في مسعاه التحرري وجهده النضالي. وكان من بين الشعراء الذين تركوا بصماتهم الخالدة في هذا الصدد، الشاعر "أحمد سحنون"، والذي نقتطف من جنان من نظمه من شعر في سجون المحتل، ما يأتي ذكره:

أرى السجن خنقا للمواهب والنـهى فكيف يطيق الحر في ظله مـأو
وهل يستطيب العيش في السجن شاعر تضيق به الدنيا فيجأر بالشـكوى
تلم به في اليوم أخيلـــة الحمى وتنتابه في الليل أطياف من يهوى
فيمضي بياض اليـوم بالهم والأسى ويمضي سواد الليل بالبث والنجوى
فيـــارب حرّر موطني كي أزوره فحرية الأوطان غايتي القصوى(29).

نلمس من خلال هذه الأبيات، أنّ الشاعر وعلى الرغم من كونه يفصح عن ما يعانيه في ظلمة السجن وما يكابده من عناء ومشقة بين جدرانه، إلا أنّ حرية الجزائر تظل فوق كل اعتبار، وأنّها الغاية المنشودة والهدف الأسمى والمراد المرغوب الذي يُستمات في طلبه.

نعم لقد كان الشاعر، ورغم تألمه ممّا يلاقيه على أيدي طغاة المحتل بين القضبان من مظاهر التعذيب اللاإنسانية الكاشفة لغياب الضمير البشري والحس الانساني، وألم الوحشة التي ألمّت به في ظلمة السجن وعذاب الغربة والحنين إلى الأهل والأحباب الذي طاله تحت سقفه، وما يختلجه من خوف على مصير الكفاح التحرري، يعي –تمام الوعي– أنّ نيل الحرية يقتضي أثمانا باهظة، وأن تحرير الجزائر لا بد له من ضريبة غالية. لذلك كانت قناعته راسخة بضرورة التحلي بالصبر والصمود والتحدّي، وهو ما نجد صداه مدويا في مادة الأبيات الشعرية التي نظمها الشاعر "أحمد سحنون"؛ إذ بعدما ساق أبياتا تعبر عن شوقه وتألمه من واقع السجن التأزمي، أتبع ذلك، بقوله(30):

والايمان القوي زادي وهل ينفذ زاد من قوة الايمان

وطريق التحرير قد حف بالأشواك لا بالورود والريحان

واستقلال الأوطان لا بد محتاج إلى باهظ الأثمان

فلتكن غربتي ونفي وسجني في سبيل التحرير للأوطان

وليكن لي من إخوتي ورفاقي خير آس من لوعة الأحزان

إنني قد عرفت في السجن إخوانا بهم قد غفرت ذنب الزمان

فيهم من بني الجزائر شبان كرام من خيرة الشبان

وصناديد من قسنطينة الشماء أرض الأبطال والشجعان

وليوث خاضوا الوغى في تلمسان فدانت لهم قوى الطغيان

وإذا ما ذكرت وهران فالعرب البهاليل ثم في وهران

هاهنا إخوتي وكل مكان قد حوى إخوتي فخير مكان

فلتكن سلوتي اجتماعي بإخوتي إذا كان موطني غير دان[31].

وإذا كان الشاعر بطبيعته البشرية، قد نظم قصائد يشكو حاله الذي يفترشه بين جنبات السجن وتحت سلطان المحتل، فإنّ شكواه لحال وطنه كانت السمة الطاغية على ما ينظمه من شعر وقصائد، وهو ما يشهد به ما نظمه ذات الشاعر، حين قال:

يا أمة جمعتـــها عقيدة الايمـــان

وإخوة قد تـــلاقوا على هوى الأوطان

وأنفسا ظامئـــات للعلم والعرفـــان

تحية من فـــؤاد في حبك متفـــاني

إنّ الجزائر تشـكوا لكم بدون لســـان

تشكوا لكم ما تلاقي من ذلة وهـــوان

فلتنجدوها لتحـمى كسائر الـــبلدان[32].

3. 3. الشاعر صالح خباشة مثال قوة تصدّى السجين وروح التحدّي:

الشاعر "صالح خباشة[33]" وعلى غرار نظرائه من الشعراء وأبطال النضال بالقلم والفكر، كانت قصائده هي الأخرى: عنوانا بارزا لملاحم بطولية؛ بحيث تصور صنفا من البشر يروم العذاب والموت الحقيقي رفضا للعذاب والموت حيا بين أظهر المحتل. وممّا جاد به في مضمار طارحتنا هذه، ما نسوقه تبعا:

صامدون، صامدون فابطشي يا سجون
زمجري بالمنون لا نذل لا نخون[34] .

وقوله أيضا:

إن ضاق سجني لم يهن فؤادي لا يسترق الحر
بالأصفاد
أخفقت في التعذيب يا جلادي ما كنت يوما خائنا
بلادي[35] .

لقد سجّلت المادة الشعرية التي أنتجها هذا الشاعر، صراخات السجين الجزائري وهتافاته بالحرية، وناقشت نماذج الاستبسال أمام البطش الاحتلالي والعنف الاستدماري المُمارس في حق السجين، وتصدِّيه القوي لسياسة المحتل الوحشية الرامية لافتكاك أسرار الثورة من صدر السجين بكل ما أوتي الجلاد من قوة الوحشية والجبروت وإمكانات

العنف والاضطهاد، وأشهر السجناء في وجه الجلادين سلاح الشهادة والصبر والكتمان على أسرار الثورة وما تخفيه صدورهم من أخبارها وأسرارها .

3 . 4. الربيع بوشامة (1916–1959) أنموذج القلم الشعري الثوري والفكر الاصلاحي التحرري:

ينحدر هذا الشاعر من منطقة "قنزات" التابعة لولاية سطيف حاليا. ألقت عليه قوات الاحتلال القبض في حوادث الثامن ماي 1945 بمنطقة خراطة، أين حُكم عليه بالإعدام، لكن بعد استئناف المحاكمة برّأت المحكمة ذمته، فخرج من السجن سنة 1946. ناضل في صفوف جبهة التحرير إلى غاية 1959 تاريخ اختطافه وإعدامه من طرف الجيش الفرنسي(36).

واصل الشاعر نضاله التحرري في سبيل وطنه إلى أن ألقى المحتل عليه القبض في 16 جانفي 1959، واقتادوه إلى السجن، أين مكث بين جدرانه مدة خمسة شهور، تلقى خلالها أصنافا شتى من التعذيب والتنكيل، حتى سقط شهيدا تحت سلطان التعذيب على أيدي الجلادين الفرنسيين في الثالث عشر من شهر ماي لعام 1959(37).

كان الشاعر " الربيع بوشامة" مواكبا بشعره مسيرة الثورة التحريرية، يصور ملاحمها، ويخلد مآثرها، ويرسم بطولات أمجادها بقلمه وفكره وروحه(38). فحسب الباحث "محمد ابن سمينة" الذي خصّ الشاعر بدراسة وافية حول شخصيته ونضاله

الثوري والشعري، فإنّ هذا الشاعر قد امتلك من المؤهلات العلمية والمقومات العقلية ما يؤهله للاضطلاع بمهام نضالية والدفاع عن القضية الوطنية، وكان قلمه الشعري قوة كبيرة مكنت للفكرة الاصلاحية، واستطاع أن يبلور ويصور مشكلات مجتمعه ويخلّد مآثر بطولاته، ويساهم في شحن الهمم والتعاطف مع قضايا وطنه، فكان بذلك: مصلحا، ومربيا وكاتبا وخطيبا وشاعرا[39].

من أشهر القصائد التي نظمها الشاعر "الربيع بوشامة"، تلك المعروفة بـ "شجون"، المؤرخة في ديوانه بشهر جانفي 1958، التي دعا على كاهلها إلى ضرورة التجند في صفوف جيش التحرير، والتنديد الصارخ بالجرائم البشعة التي يقترفها جنود الاحتلال في حق الشعب الجزائري، من تشريد، وتعذيب، وتقتيل وابادة جماعية[40].

أمّا من النماذج التي يحسن بنا أن نوردها في هذا المقام للاستدلال على ما بسطناه والرفع من سقيفة جلائه، ما يأتي ذكره

يا حماة العرين والأشـــبال		أنزلوا بالعدو كل وبـــال
وانزعوا من يديه حرية الأوطان		وائتوا لها بالاستقـــلال
وأعيدوا لذى الكبود الرطـــاب		رحمات الصبا وأنس الشباب[41] .

3. 5. محمد العيد آل خليفة (1904- 1979) صاحب السيف الشعري البتار:

كان لهذا الشاعر والمصلح والمفكر يد طويلة في مسار النهضة العلمية والاصلاحية الجزائرية لا سيّما بمنطقة بسكرة إلى غاية سنة 1927. اعتقلته قوات

الاحتلال مع اندلاع الثورة التحريرية النوفمبرية، وفرضت عليه الإقامة الجبرية ببسكرة حتى تاريخ الاستقلال(42).

من القصائد الشعرية التي نظمها الشاعر يدعو إلى الاصلاح ونبذ الارهاب والاستبداد الفرنسي، وينادي بحق الشعب الجزائري في نيل استقلاله واستعادة حريته، ويطالب بتوفير أسباب رقيه، وازدهاره:

هذه الأرض سوف تنبت عزا		إن تصافت في ظلها الأحزاب
كلنا إخوة من الدين والجنس		عليها وكلنا أحبـــــاب
نبتغي العيش في الجزائر حرا		مطلقا لا يحفه ارهـــاب
أرشدينا السبيل أيتها الحمراء		انا قوم إليك ركـــاب
هل إلى وصل بيننا من سبيل		غبت عنا وطال منك الغيـاب(43).

أمّا في مساحة تعبيرية من هذا الشاعر عن غربة الجزائري في وطنه وهو بين أهله تحت مظلة المحتل، فقد تجاوز الشاعر "محمد العيد آل خليفة"، حدود التعبير عن حالة اليأس على ضوء الشعور بالاغتراب التي يتخبّط فيها هو وساكنة وطنه، إلى إشهار سيف الكلمة الشعرية الحادة في دعوة منه لإيقاظ الهمم النائمة والجهر بصوت مدوي لطرد الاغتراب بطرد المحتل وزعزعة عرش الطغيان الفرنسي وكسر جبروته، وهو ما يصدق عليه قوله في الأبيات الموالية:

الأسر طال بكم فطال عناؤكـم		فكوا القيود وحطموا الأغلال

والشعب ضجّ من المظالم فانشدوا   حــرية تحميه واستقــالا
لا أمن إلاّ في ظلال مرفوف   حرّ لنا عال ينير هـــلالا[44].

ففي مظهر جدّ كاشف لمدى اعتزاز الشاعر الجزائري بوطنه، واحساسه بالكرامة تحت سقفه، ورفضه القاطع لحياة تحت جناح المحتل سمتها الذل والهوان وتغنّيه بحياة العزة ودعوة غيره إليها، يصيح مفدي زكريا بكل فخر واعتزاز بأنّ:

لنا وطن مثل الفراديس بهجة   فكيف رضينا أن يُداس و ينهب
وكيف رضينا أن نعيش أذلـة   ضعافا، يرانا الغير أحقر من هبا
ألسنا من الأجناس أفصحهم فما   وأسمحهم دينا، وأصلحهم أبـا؟
بنا درّت الدنيا عليهم بخيرهـا   وأخصب منها كل ما كان أجذبا
ولدنا، وأنجبنا، ففزنا عليـهم   ومن ولد الصيد المناجيد أنجبـا[45].

أمّا في رؤية تفصح عن ما يحمله الشاعر الجزائري من أثقال الهموم وأحمال التساؤلات بشأن مصير بلاده، وهو يتخبط بين ضلوع السجون: من حرقة الأكباد، واضطراب البال، وهيجان جوانح النفس لحال الوطن، فإنّ خير ما عبّر به الشاعر "محمد العيد آل خليفة" عن ذلك هو:

تساءل الشعب في ضيق و في حرج   هل للمساجين من عفو و من فرج؟
هل للذين بسجن الكـــدية اعتقلوا   روح من العفو صفو طيب الأرج
قل للولاة دعوا التضييق واقتصدوا   فربما جرّنــا التضييق للمرج[46] .

4. خاتمة:

نخلص من خلال دراستنا هذه، لواقع نضال الشاعر الجزائري السجين في سبيل القضية الوطنية، وما رسمه من مظاهر الصبر والتحدي والطموح لنيل الحرية إلى جملة من النتائج، نوجزها في المحاور الموالية:

– شكل السجن فضاء لرسم صنوف من مظاهر طغيان وجرائم المحتل، ورفض كل مساومة لقضيته الوطنية المشروعة، وشاهدا على عديد ألوان الايثار والتنافس لبذل النفس والنفيس فداء للجزائر من طرف أبنائها، ومجالا لرسم ملاحم بطولية خالدة في التضحية لنيل الاستقلال والحرية، ومدى تعلّق الجزائري بوطنه وأرضه وترابه.

– شعور السجين بواجب الصبر والتحدي لنيل المبتغى؛ وهو استقلال الجزائر، وإدراكه بأنّه في منبر للجهاد والدفاع عن مقومات شخصيته، وفي جهاد بالقلم والنفس لتحرير الوطن.

– إدراك الشاعر الجزائري السجين بأنّ صبره وتحمّله لمشاق السجون وأعبائها الاستدمارية: يعدّ هزيمة كبيرة تحصدها الادارة الفرنسية على الصعيد النفسي والمعنوي.

–كان السجن ملتقى للشعراء لدراسة أوضاع الجزائر وبحث سبل خدمة القضية التحررية، ودعم نظرائهم المجاهدين في الجبال والمدن والقرى والمداشر، ووعاء احتوى أفكارا وأقلاما حادة على المحتل؛ تكشف زيغ دعواه وباطل مساعيه، وتنير درب الثائرين الجزائريين عليه، وترسم الطريق الآمن أمامهم لبلوغ المراد.

- لم يكن السجن بالنسبة للمناضل الجزائري مكانا للإقامة والاصطفاف انتظارً للمصير المجهول، وإنّما كان فضاء للتخطيط والتنظير، وبطنا ولودا لصور التحدي والصمود.

- عبّر السجناء في مواقف عسيرة مرّوا بها في أحشاء السجون وبين قضبانها على مظاهر الوحدة والتضامن والتعاون للهدف الرئيس من الثورة النوفمبرية المظفرة، وكان كل منهم عونا لأخيه على تخطي أحلك الأوقات وأعتى المواقف التي يمرون بها، وفي طليعتها الموقف العظيم وذلك حين يُقادون إلى حبل المشنقة ويُساقون إلى منصة المقصلة.

- كان الشعر من بين أقوى الأسلحة التي تصدى بها شعراء الثورة لأساليب القمع والترويع التي انتهجها المحتل لكسر الثورة وإضعاف مفعولها وضعضعة صفوف الجموع الشعبية الملتفة حول قادتها.

- لم يقتصر فشل الادارة الاحتلالية الفرنسية على وقوف عناصرها على مشاهد حب الجزائريين السجناء التضحية، ورغبة السجين المحكوم عليه بالإعدام في الموت والشهادة، فداء لوطنه، وتسابق السجناء إلى ذلك، وإنّما كان فشلها عظيما أيضا، حين كانت تلك الأنباء تتناقل إلى خارج السجون، فتقذف في نفوس الجزائريين شحنات عظيمة من الصبر تعينهم على مواصلة النضال والكفاح للتحرر.

5.قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962، ج9، ط3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 .

2- أحسن بومالي: مراكز الموت البطيء: "وصمة عار في جبين فرنسا الاستعمارية"، مجلة المصادر، العدد الثامن، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2003.

3- أحمد مريوش: الأسلاك الشائكة في الجزائر هل هي استراتيجية جديدة لخنق الثورة أم هي اعتراف ضمني بنجاحها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998.

4- أحمد مريوش: "السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري وردود الفعل الوطنية ما بين (1900- 1930)"، مجلة المصادر، العدد العشرون، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2009.

-5أسامة غربي: "مسؤولية فرنسا عن ارتكاب جرائم حرب في حق الجزائريين دراسة على ضوء القانون الدولي"، مجلة المصادر، العدد الرابع عشر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2006.

6- أوساريس: شهادتي حول التعذيب مصالح خاصة: الجزائر 1957- 1959، ترجمة، مصطفى فرحات، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2008.

7- محمد ابن سمينة: "الشاعر الشهيد الربيع بوشامة"، مجلة المصادر، العدد 18، السداسي الثاني، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2008.

8-الزبيري العربي: المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.

9- بيطام مصطفى: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954-1962 "دراسة موضوعية فنية"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1998.

10- بناجي جازية: السجون الاستعمارية بالجزائر مع دراسة نموذجية لسجن سركاجي (بربروس) اعتمادا على سجلات الإيداع 1954-1962، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2002-2003.

11- ركيبي عبد الله: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 .

6.الهوامش:

1. انظر على سبيل المثال، ما ساقه: عبد الله ركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص10-14.
2. وهي قصيدة للشاعر عبد القادر حسن، نظمت القصيدة سنة 1958، انظر: عثمان سعدي: "الثورة الجزائرية في الشعر السوري"، أطروحة دكتوراه، ج2، معهد اللغة والأدب الجزائري، جامعة الجزائر، الجزائر، ص362.
3. الأبيات من ديوانه: اللهب المقدس، قالها في سجن "بربروس".
4. مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954-1962 "دراسة موضوعية فنية"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1998، ص149.

5. حول ادارة السجون الفرنسية بالجزائر، انظر: بناجي جازية: السجون الاستعمارية بالجزائر مع دراسة نموذجية لسجن سركاجي (بربروس) اعتمادا على سجلات الإيداع 1954-1962، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2002-2003، ص20-25.
6. بيطام: المرجع السابق، ص150.
7. بناجي: المرجع السابق، ص23-25، بيطام: المرجع السابق، ص.150
8. بيطام: المرجع السابق، ص.150
9. بناجي: المرجع السابق، ص23-.25
10. العربي الزبيري: المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1986، ص.33
11. وذلك من خلال ما عايشه في سجن بربروس، تحت أقبيته المظلمة، للمزيد، انظر: بيطام: المرجع السابق، ص.150
12. بيطام: المرجع السابق، ص152-153، الزبيري: المرجع السابق، ص33-.35
13. ومن هؤلاء الجزارين الذين ينتدبون لمثل هذه المهمات الاجرامية في حق الشعب الجزائري نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "بوجي" و "قرقيلوف"، بحيث كانوا يمتازون بقساوة شديدة وبطش كبير، ذلك أنّه يتم اخيارهم بعناية فائقة لمثل هذه المهام التعسفية-الاجرامية.
14. انظر كذلك ما أورده في هذا السياق: الزبيري: المرجع السابق، ص33-.35
15. بيطام: المرجع السابق، ص.154
16. الأبيات للشاعر مفدي زكريا، أوردها في كتابه: "كيف نتحدى الموت أمام المقصلة"، انظر: العربي الزبيري: المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص116، .157
17. الأبيات للشاعر مفدي زكريا، أوردها في ديوانه : اللهب المقدس، انظر: المرجع نفسه ، ص172-173.

18. الزبيري: المرجع السابق، ص.41

19. عمارية سنوساوي: "الاغتراب في الشعر الصوفي الجزائري"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1433-1434هـ/ 2012-2013م، ص.73

20. المرجع نفسه، ص73.

21. الزبيري: المرجع السابق، ص34-36، عمارية: المرجع السابق، ص74.

22. عمارية: المرجع السابق، ص105، الزبيري: المرجع السابق، ص34-36.

23. بيطام: المرجع السابق، ص158.

24. ولد أحمد سحنون عام 1907 بقرية ليانة ببسكرة، تلقى تعليمه على يد عدة شيوخ منهم عبد الحميد بن باديس، شارك في اثراء البصائر بشعره ومقالاته، وكان أغلب شعره ما نظمه في سجون المحتل.

25. الأبيات للشاعر أحمد سحنون المدونة في ديوانه، انظر: الزبيري: المرجع السابق، ص34-36، بيطام: المرجع السابق، ص168.

26 . ففي الساحة الشرفية لسجن بربروس تم نصب المقصلة وكان ذلك في سنة 1956، وكان الشهيد أحمد زبانة هو أول من دشنها بالشهادة، ثم لحق به العديد من الشهداء اعداما بواسطتها، انظر: بناجي: المرجع السابق، ص33.

27. انظر: بناجي: المرجع السابق، ص171، وللمزيد من التفصيل في هذا السياق، انظر: الزبيري: المرجع السابق، ص34-.36

28. الزبيري: المرجع السابق، ص34-.36

29. بيطام: المرجع السابق، ص161.

30. الأبيات للشاعر أحمد سحنون المدونة في ديوانه، انظر: المرجع نفسه، ص161.

31. المرجع السابق، ص163-164.

32. عمارية سنوساوي: المرجع السابق، ص101.

33. بيطام: المرجع السابق، ص174.
34. الأبيات من ديوانه: "الروابي الحمر"، المرجع نفسه، ص174.
35. المرجع نفسه، ص174.
36. بيطام: المرجع السابق، ص208.
37. المرجع نفسه، ص208.
38. للوقوف على تفاصيل مستفيضة في هذا الشأن، انظر: محمد ابن سمينة: "الشاعر الشهيد الربيع بوشامة"، مجلة المصادر، العدد الثامن عشر، السداسي الثاني، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2008، ص205-208.
39. المرجع نفسه ، ص208.
40. المرجع نفسه ، ص.209
41. المرجع نفسه ، ص.220
42. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962، ج9، ط3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص440. بالإضافة إلى الشاعر: عبد الرحمن العقون: وهو من مواليد عام 1908 من وادي الزناتي، كان من المناضلين في صفوف حزب الشعب، حيث تعرض هو الآخر للسجن أثناء النضال السياسية والحركة الوطنية، كما اعتقلته القوات الفرنسية أثناء فترة الثورة التحريرية الكبرى.
43. عمارية: المرجع السابق، ص22-.23
44. الزبيري: المرجع السابق، ص45-46، عمارية: المرجع السابق، ص22-.23
45. المرجع نفسه ، ص100-.101
46. المرجع نفسه ، ص107.

12- سعدي عثمان: "الثورة الجزائرية في الشعر السوري"، أطروحة دكتوراه، ج2، معهد اللغة والأدب الجزائري، جامعة الجزائر، الجزائر.

13- سنوساوي عمارية: "الاغتراب في الشعر الصوفي الجزائري"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1433-1434هـ/ 2012-2013م.

14- قوني زينب: "الشعر الديني الجزائري القديم في القرون السابع، الثامن، والتاسع – موضوعاته وخصائصه-"، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 1435-1436هـ/ 2014-2015م .

15- هدي فاطمة الزهراء: "جمالية الرمز في الشعر الصوفي..."، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1427هـ/ 2006م.

16- لهلالي أسعد: "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)"، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2011-2012.